الأسلوبية والتلقى في الدراسات القرآنية من خلال نموذجين تطبيقيين

عمر عبدالله العنبر *

ملخص

يسعى هذا البحث إلى عرض الأسلوبية والتلقي بوصفهما منهجين للدرس القرآني من خلال تقديم نموذجين تطبيقيين لمحاولة وضع ضوابط منهجية في التعامل المنهجي مع القرآن الكريم حفاظاً على خصوصيته وقيمته الفريدة، وقد انتظم هذا البحث في مقدمة وخاتمة وثلاثة فصول وفق الآتي: الفصل الأول: الأسلوبية في الدراسات القرآنية من خلال نموذجين تطبيقيين. الفصل الثالث: قضايا في علاقات (الأسلوبية والتلقي) بالقرآن الكريم.

الكلمات الدالة: الأسلوبية، التلقي، الدراسات القرآنية، القرآن الكريم، التطبيقات الأسلوبية.

المقدمة

إنَّ للمنهجين الأسلوبي والتلقي في درس القرآني طرائق متنوعة المداخل وفق رؤية كل دراسة ومنهجيتها، ويلاحظ أنَّ السمة العامة في كل هذه الدراسات الحيطة والحذر والدقة في التعامل مع القرآن الكريم، وإظهار ما يمثله من خصوصية التشكيل لكتاب الله (عزّ وجل)، وبعض المصطلحات النقدية والمنهجيات النقدية التي لم تزل في إطار التجربة أو التي لم تثبت جدارتها لا يفترض أنْ تطبق في القرآن الكريم.

ويحاول هذا البحث تقديم نموذجين تطبيقيين على المنهج الأسلوبي في الدرس القرآني، ونموذجين على منهج التلقي في الدرس القرآني، ولاشك من وجود بعض الإشكاليات المنهجية والنقدية في المنهجين الأسلوبي والتلقي، ويعود دلك لكونها جهد يحتاج إلى متابعة وتطوير دائم، إذ يقعان ضمن وصف الجهد البشري القاصر ولو علت منزلته، ويلاحظ من خلال تتبع بعض الدراسات النقدية والأدبية محاولة تجنب الوقوع في الإشكاليات النقدية وتجاوزها بطرائق متعددة، ولا يُنكرُ دور وأهمية ونجاح بعض هذه المنهجيات النقدية في دراسات القرآن الكريم فيجب الاعتدال والتوازن في الحُكْمِ على هذه الأنماط؛ لأنها مِنْ قَبْلُ ومن بعد اجتهادات إنسانية ومحاولات تخطأ وتصيب.

وتكتسب الأسلوبية والتلقي أهميتهما من خلال ارتباطها بالقرآن الكريم لما له قوة منهجية وحظوة، ولا يدع أي أسلوبي أو متلق القول الفصل فيما يذهب إليه من إتباع المنهجين إنما هي محاولات من لخدمة كتاب الله – عز وجل – تترسم الملامح العامة للدرس القرآني، والعلاقة المنهجين والقرآن الكريم توصف بإمكانية تطبيق أدوات الأسلوبية والتلقي في القرآن الكريم من خلال مواطن التأثير والجمال والتميز القرآني بطرائق تقارب المنهجيات الحديثة الغربية والعربية وتتوافق مع خصوصية القرآن وقيمته.

وإنَّ محاولة تبيان أنماط دراسات الأسلوب والتلقي في الدرس القرآني تمثل حالة من الاجتهاد تقبل التصويب؛ لأنَّ حجم الدراسات في القرآن الكريم يجعل من الصعوب (لباحث أو لبحث) الإحاطة بكل ما كُتبَ في الأسلوب والتلقي القرآنيين بطرائق أدبية أو نقدية؛ ولكنها محاولة قد تقيد الباحثين والدراسيين للقرآن في تحديد هذه الأنماط الموجودة وتقديمها، ويهدف هذا البحث إلى تقديم إضاءة تطبيقية للأسلوبية والتلقي في الدرس القرآني، ويبتغي لهذا البحث قبل أي شيء آخر الموضوعة في الطرح والتقديم، والتأكيد على المنزلة العلية والخصوصية التي حظي بها كتاب الله – عز وجل – ولا بد من الإشارة إلى أنَّ هذا البحث يأتي ضمن سياق البحث في الدراسات التي تتعلق بالقرآن وليس ضمن حيز دراسة السور والآيات القرآنية، ولا يتنافى ذلك مع إيراد بعض الأمثلة والاقتباسات من القرآن التي تساعد على توضيح النمط المبتغى من الدراسة.

أؤكد فكرة البحث في محاولة تقدم مرجعة جزئية لتطبيقيين أسلوبين في الدرس القرآني وتطبيقيين للتلقي في الدرس القرآني ليفيد الباحثون من محاولة تطبيق للأسلوبية والتلقي بوصفهما مرجعية يمكن الإفادة منها لتقديم أنماط جديدة ضمنه ليصبح من أسباب

^{*} قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الإسراء. تاريخ استلام البحث 2019/2/20، وتاريخ قبوله 2019/11/21.

تقديم الفائدة النقدية والأدبية والمنهجية للدرس القرآني.

ولقد كان ظهور هذا الأنماط في القرآن الكريم نتيجة تعدد المرايا التي ينظر بها الباحثون للقرآن الكريم، ولو افترضنا جدلاً تطبيق نفسه النمط من الدراسة في القرآن الكريم فلن يصل الباحثون إلى نفس النتيجة؛ لأنَّ الجوانب الذاتية تدخل في رؤية القرآن الكريم.

وأيُّ مجال يريد أنْ يقدم دراسات تتعلق بالقرآن الكريم يجب أنْ يثبت جدارته في التعامل مع خصوصية القرآن الكريم ومكانته العظيم إذْ: "يمكن القول بأنَّ (كيان النقد العربي) الذي ولد ونما استجابة لظروف تاريخية مليئة بالتحديدات والأزمات المستمرة، وهذا دليل أصالته— على الرغم مما يعتور مساره— ويستمد مسوغ وجوده واستمراره من قدرته على أداء وظيفتين مترابطتين: وظيفة أدبية وأخرى حضارية" (الماضي، 2011، 23). والأسلوبية والتلقي تقدمان منافع للعربية من خلال التحليل والتميز ويعطي للمتنوق أيضاً أدوات يستعملها لخدمة كتاب الله (عزّ وجل)، ولم يقتصر المنهجان على النصوص الأدبية في مجال عملهما النقدي الأدبي بل تحول إلى تقديم هذه الخدمات والأدوات للقرآن الكريم؛ لأنه خاطب الأديب والناقد والمتذوق ويحتاج هذا الخطاب المي تقسير وتحليل وتذوق أدبي يليق بأسلوب القرآن الكريم.

وتقدم المنهجان الأسلوبي والتلقي قيمة مضافة للنقد الأدبي العربية من خلال وسائل ومنظومات الربط مع مجالات بحثية جديدة توفر للنقد الأدبي المهمة الحضارية العامة، وعلينا أن نشير إلى ما يقدمه المزج بين الحضاري بين الثقافة النقدية والقرآن الكريم ولا يخفى المنجز الحضاري النقدي المعزز يوماً بعد يوم، وهذا يعني التقدم بالنقد وعلو شأنه وتجدد من وظيفته وتضيف إليه قيماً حضارية لم تكن به سابقاً.

وتتعزز وظيفة الأسلوبية والتلقي بذاتيه ومنهجيته من خلال ظهور بعض المحاولات القيمة لتقديم أدواتهما المنهجية للقرآن الكريم من خلال معالجة بعض القضايا القرآنية بمنهجيات دقيقة أثبتت جدارتها في النقد الأدبي، وإذا أراد الأسلوبي والمتلقي التقدم نحو القرآن الكريم فلن يدخل منفرداً بل سيدخل بإشكالاته وأزماته التي ما تزال مثار جدل، ويمكن أنْ تفيد من معطيات القرآن الكريم وغيره من المعارف التي تزيد من حضوره على الساحات البحثية.

الفصل الأول:

الأسلوبية في الدراسات القرآنية من خلال نموذجين تطبيقيين

إنَّ بداية الحديث عن الأسلوبية تشكل مجموعة من الأسئلة أهمها: ما الأسلوبية؟ كيف تتم الدراسة الأسلوبية في القرآن الكريم؟ ما أهم الدراسات الأسلوبية وللإجابة عن هذه الأسئلة لا بد من تذكر أنَّ:"الأسلوبية من المناهج الحديثة التي تركز على دراسة النص الأدبي معتمدة على التفسير والتحليل... فقد استطاعت الأسلوبية أنْ ... تمثل منهجاً حديثاً يقترب من منهج النقد الأدبي، وعندما نقول يقترب، فإننا بذلك لا ننفي عن الأسلوبية منهجية النقد؛ لأنَّ الأسلوبية أصبحت عند كثير من دارسي الأدب منهجاً نقدياً يستند إلى مفاهيم جديدة في تحليل النصوص"(عودة،2010، 27). والأسلوبية ظاهرة تعدد منهجها بتعدد دارسيها.

وتتقارب الأسلوبية ومناهج النقد الأدبي؛ لأنَّ الدراسات الأسلوبية توصف بأنّها دراسة نقدية: "ونتيجة لهذا التداخل وامتزاج المنهج الأسلوبي بالمنهج النقدي؛ فقد أصبح المنهج النقدي يتعامل مع الظواهر اللغوية، ويعدها أساس الإبداع في العمل الفني، واللغة تمكن الناقد من الوصول إلى جماليات النص والجوانب الفنية الموجودة فيه"(عودة،2010، 38).

ويعني هذا النقارب استخدام الناقد الأدبي للأسلوبية من خلال الربط بالإطار النقدي وفق السياق الذي يحيط بالأسلوبية وعلم الأسلوب بأنّه حقل: "يتداخل ويتموضع بين ثلاثة حقول هي:علم اللغة / النقد الأدبي / البلاغة... فكأن الناقد الأسلوبي يقوم باستقراء النصوص وتصنيف الظواهر الأسلوبية وإحصائها تمهيداً للانتقال من الخواص الكمية إلى الخواص الكيفية، أو الانتقال من الظواهر اللغوية للأساليب إلى الدلالات الأدبية، والناقد الأسلوبي يهتم بـ(الاختيارات) و (الانحرافات) اللغوية التي تعني استخدام اللغة (أو تشكيلها) بطريقة خاصة، أي (بعيداً) أو (خروجاً) عن قوانين اللغة المألوفة، فالكلمة (الأدبية هنا) تبتعد عن المعنى المعجمي، والعلاقة بين الدال والمدلول تتصف بالمراوغة والانفصال "(الماضي، 2011، 196).

والأسلوبية تتعامل مع النقد الأدبي وعلم اللغة والبلاغة من خلال أدوات حاسمة وحساسة وتستفيد من هذه الحقول والمعارف ولاسيما في دراسات القرآن الكريم؛ لأنَّ هذه مزية تقدم للدراسات الأسلوبية أفضلية، وإذا صنفت الأسلوبية عند بعض الباحثين ضمن النقد؛ لأنَّها على علاقة مباشرة بالنقد الأدبي؛ ولكنها لا تقتصر على النقد بل تستخدم أدوات غير نقدية تتبع من علم اللغة والبلاغة وربما تصنف الأسلوبية، وتدخل في النقد القرآني من خلال دراسات متنوعة ومتعددة.

وأمّا آلية الدراسة الأسلوبية فتبدأ بقراءة العمل وتقسم الظواهر المطلع عليها بحسب الأدوات المراد استخدامها، ويمكن أن تستعين الأسلوبية بأداة الإحصاء فتصبح الدراسة أسلوبية إحصائية أو الوصف فتصبح الدراسة أسلوبية وغيرها من الأدوات المستفاد منها أسلوبيا، وتهتم الأسلوبية بسؤال كيفية الأسلوبية فالطريقة مهمة جداً في الدراسات الأسلوبية، فلا تهم الكمية بل يجب أن يهتم بطرائق وأساليبه الإخراج الأسلوبي، وذلك من خلال سؤال كيف كانت الأسلوبية؟ وما الأساليب المستعملة؟ والأسلوبية نوع من الاختيار.

وتحديد الأسلوبية لطبيعة الاختيار في غاية الأهمية؛ لأنَّ الاختيار هو المفسر للأساليب، ولابد من تحديد مستويات الاختيار اللغوي، إذْ يجب على المحلل الأسلوبي التركيز في استخدام اللغة فإذا كان الاستخدام مألوفاً، ومثال ذلك اختيار اللفظ مألوفاً فلا يمثل كسر التوقع أو للأنساق الأسلوبية أو عدول أسلوبي أو انزياح أو انحراف وغيرها من الأوصاف التي تتعت بها الأساليب.

ويواجه التأصيل الأسلوبي عدداً من الإشكاليات من أمثلتها الإشارة إلى أنّ: "الأسلوبية مرحلة تالية للبلاغة ومتطوّرة عنها كما ذهب بعضهم؛ لأنّ الأسلوبية قد قاسمت البلاغة الحياة وعايشها عند الخطابي والجرجاني وحتى عند الذين مهدّوا لاستقرار البلاغة كالخفاجي، وإذا صحّ هذا الأمر، فالأسلوبية ليست نتاجاً حديثاً، وإنْ اعتبار الأسلوب فاعلية لغوية، والتعاطي مع النص تعاطياً موضوعياً قديم في نقدنا، ماجد هو المنهج و المصطلحات، ومن يَعُد إلى كتابي: (عبد السلام المسدّي الأسلوب والأسلوبية)، وصلاح فضل (علم الأسلوب) يجدهما قد واجها لغتنا وأدبنا بالطريقة عينها التي واجهتهما بها الدراسات الألسنية، وهذا ما قلّل من جدوى هذه الدراسات، وخفّف من تحوّل الأسلوبية إلى منهج واسع الانتشار "(زيتون،1992، 430). فالتأصيل للأسلوبية مهمة اجتذبت العديد من الباحثين الذي يرغبون في معرفة العلاقة بين البلاغة والأسلوبية، والعلاقات بين الأسلوبية ومناهج النقد وبين الأسلوبية ومناهج اللغة.

ولقد قُدْمِتْ العديد من نماذج الأسلوبية التي تتعالق مع النقد الأدبي بمسميات متنوعة أهمها: (سورة الصافات: دراسة أسلوبية): "نموذجاً متميزاً بالسمات الأسلوبية التي شكلت نظامها اللغوي الذي انتهينا به إلى سرّ تميزها ببنيتها اللغوية للاستخدام الخاص لها، وفق الأغراض المراد طرحهن، وقد تجلى هذا الاستعمال المتفرد طيلة المستويات الأسلوبية المتشكلة لهذا البناء... واتخذت سورة الصافات من تناسب الدلالات وسيلة لإبراز البنى المتقاربة إيقاعياً وصوتياً ودلالياً (السالم،2007، 223).

وتمثل هذه الدراسة نموذجاً لتناول القرآن الكريم بمنهجيات أسلوبية، إذ تنقسم هذه الدراسة الى أربعة فصول تناولت أربعة مستويات جاءت وفق الآتى:

الفصل الأول: المستوى الصوتى.

الفصل الثاني: المستوى المعجمي.

الفصل الثالث: المستوى التركيبي.

الفصل الرابع: المستوى البياني.

وجاءت النتائج في المستوى البياني تتوافق والأسلوبية؛ لأنَّ لدراسة توصلت إلى:" استخدام أسلوب التصوير الذي مكن الصورة من تجاوز حدود الطرفين لاختراق الواقع المعياري لبؤرة رؤية شاملة تخطت العالم الحسي... واستخدام أسلوب التصوير كأسلوب مميز في تصوير البنية القصصية التي اتسمت أحداثها بالواقعية والموضوعية عن عرض أحداثها... وتشكل سورة الصافات من ثلاثة أبنية تواترية قامت على الصورة المفردة البسيطة والمركبة والصورة الكلية الجامعة لها" (السالم،2007، 2006).

وأما النموذج الثاني من الدراسات النقدية الأسلوبية فموضوعها: (أسلوبية الانزياح في النص القرآني) بوصفه نمطاً من الدراسات الأسلوبية التي: "تعني منهجاً نقدياً لمعاينة النصوص، وقد عَمِدَ هذه الدراسة إلى أخذ الأسلوبية بطرائق متعددة منها: الأسلوبية والنحوية والصرفية والتركيبية والدلالية، وهذه الأسلوبيات المتباعدة في ظاهرها تُوظفُ لخدمة النصوص في إطار متشابك من البحث والتحليل، وحاول هذا الكتاب أسلوبية الانزياح في النص القرآني أن يماشي الأسلوبية مع المستويات اللغوية، ولم يعتمد على الدراسات القديم أو الحديثة إنما حاول تقديم إطار مشترك يخدم القرآن الكريم، وموضوع الأسلوبية قديم حديث مع تركيز القدماء على الأسلوب وتركيز المحدثين على الأسلوبية.

وتعاني هذه الدراسة – إشكاليات أهمها: عدم حدود بعض المصطلحات من خلال تعويم بعض المصطلح النقدي، ويمكن التعامل مع هذه الإشكالية في الدراسات القرآنية من خلال مراعاة لخصوصية القرآن الكريم وأهميته، ولكل مصطلح نقدي مجموعة من المفاهيم والدوال التي يجب استخدامها لهذه المصطلح، ويجب التأكيد على أهمية تبيان حدود المصطلح، والتعمية في بعض المصطلحات النقدية تجعل تأويل المقصود بالتحليل معضلة صعبة الحل.

ونقدم الدراسات القرآنية ذات الامتدادات الأسلوبية الحديثة مفاهيم ومصطلحات تتسم بالجدة، لذا يجب التصدي لوضع أمثلة مناسبة لها من القرآن الكريم وعدم الخلط بين هذه المصطلحات الأسلوبية الحديثة والمصطلحات القديمة القديم التي كان لها شأن واتفق عليها سابقاً، إذ يعني الانزياح على سبيل المثال: "خروج الكلام عن نسقه المثالي المألوف، أو خروج عن المعيار لغرض قصد إليه المتكلّم أو جاء عفو الخاطر؛ لكنه يخدم النص بصورة أو بأخرى وبدرجات متفاوتة... وتُعدُ ظاهرة الانزياح من الظواهر الأسلوبية القرآنية التي تحتاج إلى رصد أساليبها واستجلاء أسرارها القرآنية،ومع ذلك فإنها لم تظفر – فيما أعلم – بدراسة مستقلة تحاول رصد صورها واستجلاء ما تشعّه في ذلك البيان الخالد من قيم وأسرار... والانزياح ظاهرة أسلوبية تبرز وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني، وتدّل على ما وهب المولى – عز وجل – في لغة التنزيل – من إمكانيات متعدّدة، وقدرات فائقة في التصرّف في التعبيري والتعدّد في الدلالي... وتعدُ دراسة ظاهرة الانزياح عن الأصل المثالي للغة ركيزة أساسية من ركائز الدراسات الأسلوبية الحديثة في تناولها للنصوص الأدبية" (الخرشة، 2014).

وأما عن سبب تتاول هذه الدراسة للانزياح في القرآن الكريم فقد: تتاولتُ فيه مفهوم الانزياح عند المحدثين لكونه مصطلحاً شاع في الدراسات الأسلوبية الحديثة... وإنَّ الوظيفة الرئيسية للانزياح ماثلة فيما يحدثه من مفاجأة تثير المتلقي، وتلفت انتباهه، وتدفعه للبحث عن أسرار هذه الظاهرة، ومثيراتها السياقية وأبعادها الدلالية "(الخرشة،2014، 8).

وينقسم كتاب أسلوبية الانزياح في النص القرآني إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: الانزياح في إطاره النظري.

الفصل الثاني: الانزياح الدلالي.

الفصل الثالث: الانزياح التركيبي.

الفصل الرابع: الانزياح الصرفي.

وكان التركيز على الجوانب التي تتصل مع النقد الأدبي بشكل عام في الفصلين الأولين، ونلاحظ أنَّ الدراسات الأسلوبية في النماذج المعروضة تغطي دائماً مجموعة من المستويات، ومن الأمثلة على (الانزياح) في هذا الكتاب الذي يمثل النموذج الثاني من الدراسات الأسلوبية النقدية وقوفه عند بعض المواطن القرآنية: "ونودُّ فيما يلي أنْ نتوقف إزاء بعض المواطن القرآنية التي يتمثل فيها الانزياح في هذا المجال، فمن تلك المواطن قول الحق تبارك وتعالى:(وَلقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ فَرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيهم) (القرآن الكريم، سورة طه، الآية 77–78). وإذا رصدنا حركة الصياغة في شكل تخطيطي فإنها تكون على النحو الآتي:

البنية السطحية: البحر → مكان تلقي مائي عكس البر المنائل مدلول اللفظتين: اليم → مكان تلقي مائي عكس البر البنية العميقة: البحر → مصدر خير ونعمة اختلاف مدلول اللفظتين: مصدر شر وهلاك → اليم

وإنَّ الانزياح عن لفظ (البحر) إلى لفظ (اليم) في هاتين الآيتين يكشف قدرة القرآن الفائقة على اختيار اللفظ المناسب للتعبير عمّا هو مراد، ويبدو للقارئ أنَّ هاتين اللفظتين ليس لهما دلالات إلاّ الدلالات السطحية المباشرة، ولكن إذ تعمقنا أو عمقنا النظر في كل منهما نجد أنَّ لكل لفظة من الضلال الدلالية والإيحاءات السياقية الخاصة ما تفترق به عن الأخرى، وما يجعلها أكثر مواءمة للسياق الذي وردت فيه" (الخرشه 2014، 117).

ومن الملاحظ المهمة في كتاب أسلوبية الانزياح في القرآن الكريم أنَّ:" تفسيرات القدماء للانزياحات الصرفية في النص القرآني لم تكن إلا حملاً للمعنى أو محاولة لتثبيت القاعدة النحوية التي وضعها النحاة... ويظل الأثر الدلالي والجمالي لأسلوب الانزياح ماثلاً في ذهن المتلقي مدة طويلة؛ لأنه يتشكل في ذهنه ووجدانه بطريقة غير مباشرة، ويدفع المتلقي للمشاركة في تشكيل الناتج الدلالي للصياغة، إذ إنه يُنتج ثلاثة مراحل متوالية:

أ- التنبيه: يلفت أسلوب الانزياح انتباه المتلقي بخروج تشكيله اللغوي عن ظاهر البنية المثالية، أو مقتضى ظاهر حال المتلقى.

ب- التفاعل بين المثلقي والصياغة لمعرفة دواعي الانزياح عن البنية المثالية، والمقاصد الجمالية التي تكمن خلفه.

ج- إنتاج الدلالة، وتكثيف التأثير الجمالي في ذهن المتلقي"(الخرشة،2014، 286). وبهذا نكون قد عرضنا نموذجين من الدراسات الأسلوبية التي تشتركان في تقسيم الأسلوبية إلى مستويات، ولكن استخدام نفس المنهج لم يوري إلى النتيجة نفسها بل إلى اختلاف التجربة الأسلوبية مع المنهجية النقدية والمشترك في الدراستين تقسم الدراسة إلى مستويات، واستخدام المنهج نفس المنهج لم يؤدي إلى النتيجة نفسها بل إلى اختلاف التجربة الأسلوبية مع اختلاف التجربة الأسلوبية الذاتية، ومن خصائص هذه الدراسات الأسلوبية أنها تبحث عن المعنى وعن الطريقة التي جاء بها الأسلوب.

الفصل الثاني: التلقي في الدرس القرآني من خلال نموذجين تطبيقيين

يجذب القرآن الكريم المتلقين من كل حدب وصوب للتفكر بأسراره وحكمه ودلالته وتحديه لهم بأنْ يأتوا على شاكلة، ولقد أصبح:" المتلقي يحتل مكانة مرموقة في النظريات المتجهة إلى القارئ، حتى توصل الأمر إلى جعله محوراً فاعلاً في فعل التحقق النصي وعنصراً ثابتاً في إنتاج الدلالة...وهناك اتجاهان كبيران لنظريات التلقي؛ الأول هو جماليات التلقي، والثاني هو نقد استجابة القارئ، ويتسم الاتجاه الأول بالطابع الجماعي، وبوجود سقف جماعي كبير يتسع لإسهامات روّادها وفي الثانية لا نتلمس وجود هذه الوحدة الفكرية... ويُعدُ القرآن الكريم الرافد الأكبر للنقد العربي القديم، إذْ أخذت اهتماماته بالمتلقي تظهر بصورة واضحة في نتاجات النقاد الأوائل حتى وصل الأمر إلى مرحلة متطورة بظهور المؤلفات البلاغية والنقدية" (الشهرزوري، 2010، 381).

ويظهر من خلال البحث في منهج التلقي أنه حقل نقدي خالص، والتلقي جزء لا يتجزأ من النقد العربي، وهو حقل نقدي يعاين بهذه الدراسات القرآن الكريم، وتختلف الآليات في معاينة كتاب الله – عز وجل – وأمًا عناصر التلقي، فيجب التأكيد على أهميتها؛ لأنها تميز هذا المنهج النقدي عن غيره، وبما أنَّ التلقي منهج نقدي – يطبق على الدراسات الأدبية والقرآنية - فيتشكل من خلال متلقيه، إذْ جاءت نموذج من الأسلوبية في الدراسات القرآنية كتاب (جمالية التلقي في القرآن الكريم بطرائق خاصة (أدبية الإيقاع الإعجازي نموذجاً) ليرى القرآن الكريم بتلقي من خلال مرايا التلقي الحداثية عند (ياوس وإيزر وإيكو) الذين كانت لهم جهود في التلقي ضمن النظريات الغربية التي بسطة نفوذها على الساحة النقدية العربية (الشهرزوري، 2010، 381).

ويشير كتاب جماليات التلقي في القرآن الكريم – وهو النموذج المتخذ على النمط الثاني من أنماط الدراسات النقدية في الدراسات القرآنية – إلى أنَّ: "جمالية التلقي – شعرت أم لم تشعر – في خدمة النص القرآني وفتحت آفاقاً رحبة لصالحه، ومركزت قارئه مكانه لم تمنح له نظريات القراءة السابقة، ولعلنا ننوي استلهام كليات جمالية التلقي واستثمارها في مجال الكشف عن إيقاعية القرآن وفي علاقتها بالمتلقي، إنما نبتغي الاستفادة من هذا المعطى القرآني المجسد في هذه النظرية للوصول إلى الدلالات الخفية التي تتضوي في ظلال الآيات القرآنية المشكلة لبنية النص القرآني" (مزاري، 2019، 166).

ويعتمد منهج التلقي على النموذج الغربي بوصفه قدوة يمكن تطبيقها في النصوص لإيجاد نتائج أفضل، والعديدة من الدراسات اتخذت التلقي منهجاً لها، ويلاحظ أنَّ: "المتلقي الأول كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بيد أنَّ الرسالة الربانية ليست موجهة إلى نبينا الكريم وحسب بل إلى البشرية جمعاء"(حطيني،2009، 96). ويجب التنبيه إلى أنَّ دراسات التلقي لا يجب أنْ تتخذ النخبوية في الطرح، وليس المقصود في التلقي نخبة النقاد البشر وثقافتهم غير أنواع ثقافتهم؛ لأنَّ القرآن لا يخطب فئة أو نخبة دون أخرى.

وأمًا عن وصف طبيعة تطبيق منهج التلقي على القرآن الكريم فالنص: "القرآني تتحقق فيه أبعاد نظرية التلقي؛ لأنَّ القرآن ينقل السامع من الجمود إلى الحركة من كونه منفعلاً إلى فاعل يتجاوب بعقله وأحاسيسه مع الخطاب القرآني ويدفعه إلى للمساهمة في إنتاج معنى النص، وتأسيساً لهذا التوجه يتضح لنا أنَّ الاستعمال القرآني لمادة التلقي فيه إشارة واضحة إلى حضور القارئ والاحتفاء به "(مزاري، 2009، 163) وتلقي القرآن يقدم رؤية إيمانية من خلال تقسيم القرآن للخطاب يعمل على مجموعة تحدد المقصود بالمتلقين فإذا تمت الإشارة إلى: (يا أيها الذين المؤمنون) تختلف اختلافاً جذرياً عن: (يا أيها الكافرون) فالقرآن الكريم يحدد طبقات تلقيه وينوعها ويميزها بما تحتاج لإنجاح الرسالة الإيمانية للبشر أجمعين.

ولا شك في: "تنوع أسلوب الخطاب في القرآن الكريم، فاستخدم فيه التصوير الفني، والقصة، والأسلوب الوعظي المباشر من أمرٍ ونهي، وترغيب وترهيب وغيرها من الأساليب التي هدفت إلى التبليغ الديني، وذلك بالتأثير في المتلقي، وإنَّ التنوع بأسلوب الخطاب يتناسب مع تنوع نفسية المتلقين، وتعدد مستوياتهم الفكرية والعقلية، فالمخاطبون ليسوا سواء في التلقي، فما يؤثر في شخص قد لا يؤثر في آخر "(الشاوين، 2011، 6) ولم يقتصر الخطاب القرآني على جانب التأثير بل تخطى ذلك إلى التواصل مع المتلقي من خلال تقديم معلومات وأفكار ونماذج يفيد منها المتلقي في حياته اليومية تمثله بمجموعة من التوجيهات التي تجعل من القرآن الكريم نهج حياة وعمل، والمحاولات من أجل كشف الخطاب الموجه نحو للبشرية جمعاء.

ويوصف التلقي بأنه:" فعل ورد فعل... حوار وتفاعل، والتلقي تنمية للذوق وارتقاء بالإدراك، والتلقي المنشود استشراف وإرهاص بحركة الواقع المعيش، والتلقي ركن من أركان الإبداع الحقيقي، والمتلقي حاضر وفعال ومشارك في عملية الإبداع"(الماضي، 2003، 96). أيّ أنّه حالة من الاستقبال التي تتم بين النص وقراءه وتنقل المعنى من خلال هذا التفاعل فالتلقي يعني وجود المعنى عند المتلقي، وذلك يعني وجود حالة من الذاتية في فهم المعنى، إذ يعد من أركان الإبداع في منهج التلقي هي (المؤلف – الرسالة /النص] – المتلقي) فالتركيز على المتلقي يكون في منهج التلقي، وقيمة الإبداع في هذا المنهج تأتي من متلقيه.

وأمًا النموذج الثاني من كتابات التلقي فهي [ملامح السرد القرآني (دراسة في أنماط القص والتلقي والشخصيات والبيئة ا القصصية)] إذْ قدم أمثلة تطبيقية على أشكال التلقى في القرآن الكريم، وقسم الرسالة في القرآن الكريم إلى:

أولاً: الرسالة الافتتاحية

توجيه الخطاب للنبي (عليه الصلاة والسلام) خلال قصة هود في سورة هود، إذ قال الله تعالى: (وأذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديهِ ومن خلفهِ ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيم) (القرآن الكريم، سورة الأحقاف، الآية 21).

ثانياً: الرسالة الخلالية

يظهر في قصة موسى [سورة الأعراف]: (ثم بعثنا من بعدهم موسى بأياننا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين *وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين) (القرآن الكريم، سورة الأعراف، الآية 103).

ثالثاً: الرسالة الختامية التعليقية

ويقول الله تعالى في سورة آل عمرآن: (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك) (القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية :44) وثمة تعليق ختامي عن موسى -عليه السلام- في سورة هود: (ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم و حصيد) (القرآن الكريم، سورة هود، الآية: 100).

وقد يوجه القرآن الكريم الرسالة أكثر من مرة، فقد نجد رسالة المتلقي في افتتاح القصة وفي منتهاها، على نحو ما نجد في قصة أصحاب الجنة، ويقول الله تعالى في سورة القلم: (إنّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذْ أقسموا ليصر منها مصبحين) (القرآن الكريم، سورة القلم، الآية 17). وفي نهاية القصة يأتي التنبيه للناس جميعاً، ويقول الحق –عز وجل– في السورة نفسها * بعد أنْ يكشف لنا عذاب هؤلاء الجاحدين لنعمته: (كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعملون)، (القرآن الكريم، سورة القلم، الآية، 33) وهذه موجهة للناس جميعاً (حطيني، 2009، 101).

ويظهر النموذج التطبيقي في الآيات والسور السابقة أنَّ محولة تقديم مصطلحات قرآنية قامت بحسب المتلقي فانقسمت النصوص بحسب مفهومها المتلقي الخاص إلى الرسائل الافتتاحية الموجهة نحو النبي -صلى الله عليه وسلم- إذْ أخذت حيزاً معيناً، وأما الرسالة الختامية فتم الاعتناء بآلية توجيهها إلى يوسف - عليه السلام - في المثال الأول من الرسالة الختامية، وإلى موسى - عليه السلام - في الرسالة الختامية الثانية، والمتلقي يحظى بالاهتمام الأول في منهج التلقي.

ويظهر النموذج التطبيقي في الآيات والسور السابقة أنَّ محولة تقديم مصطلحات قرآنية قامت بحسب المتلقي فانقسمت النصوص بحسب مفهومها المتلقي الخاص إلى الرسائل الافتتاحية الموجهة نحو النبي -صلى الله عليه وسلم- إذْ أخذت حيزاً معيناً، وأما الرسالة الختامية فتم الاعتناء بآلية توجيهها إلى يوسف - عليه السلام - في المثال الأول من الرسالة الختامية، وإلى موسى - عليه السلام - في الرسالة الختامية الثانية، والمتلقي يحظى بالاهتمام الأول في منهج التلقي.

وهذان الكتابان اللذان مثلى منهج التلقي في القرآن الكريم يقدمان النصوص من خلال تقسيمات جديدة شكلها الدارسون العرب بتأثر من الدارسات الغربية ومصلحاتها وهذه المنهج نقدي خالص استخدمت أدواته في نقد النصوص الأدبية والدراسات القرآنية، ويدّل هذا على علاقة وثيقة بين المناهج والأنماط الأدبية الممكنة التطبيق في كتاب الله –عز وجل – ونجاح منهج في التلقي يحفز أتباع هذا المنهج على تطبيقه على القرآن الكريم، وربما يشير ذلك إلى حالة من تغير المعادلة بين الدراسات القرآنية والدراسات القرآنية والدراسات الأدبية والنقدية فقد كانت الدراسات القرآنية تقدم للنقد والبلاغة واللغة فالمنهج الذي يثبت جدارته في الأدب العربي ربما يطبق أو يستخدم في القرآن الكريم.

وإنّ المنهجين المختارين في هذا البحث وهما الدراسات الأسلوبية والتلقي يمثلان نمطين من أنماط الدراسات النقدية الممكنة التقصي والمتابعة بوصفها علاقة قديمة متجددة بين الدارسات الأدبية والنقدية والقرآنية، فقد يكون المنهج المستخدم في منهج التلقي - على سبيل المثال - منهج أثبت جدارته أدبياً ونقدياً، ولكن إشكاليته في أصوله فيجب أنْ يوضع نموذج خاص للتعامل

مع القرآن من خلال الدراسات ذات الأصول الغربية، ويجب تحديد أصل كل دراسة أدبية أو نقدية من أجل محاولة تقيمها ومتبعاتها، والنقد يفتح باباً باتجاه القرآن فمن واجب النقاد تتبعه ومراجعته والنتبيه لإشكاليته – إنْ وجدت – فالناقد والأديب ذو الرؤية المنهجية أقدر على توصيف المسار النقدي وتصحيحه – إنْ احتاج – فالنقد ممارسة منفتحة الآفاق تحتاج إلى مراجعات دائمة وشاملة ومتجددة، ويجد الناقد أحياناً حالات أو محاولات من أجل (لي عنق النص) باتجاه ما، وذلك لا يجوز في الدرس القرآني؛ لأنَّ أي محاولة من هذه القبيل ستكون لها عواقب وخيمة.

الفصل الثالث:

قضايا في الأسلوبية وتلقى القرآن الكريم

إنَّ أول قضية يجب العمل عليه من قبل نقاد المنهجين الأسلوبي والتلقي لترسيخ دعمه هو قابلية القرآن وأفضليته للمنهجيات المتنوعة والمصطلحات التطبيقية النقدية الواضحة المعروفة الأصول والملامح فالقرآن الكريم يمتاز: "بقابلية تعدّد القراءات النقدية وتجددها، مما يتطلب عودة مستمرة إلى دراسة الإعجاز الذي سيصبح منبعاً ثراً لقيم نقدية متجددة (زيتون، 1992، 10). وهذه دعوة إلى أخذ دراسات الإعجاز القرآني بوصفها مرجعية يلجأ إليها الناقد المنهجي الأسلوبي والمتلقي البلاغي متى بدأ دراسة القرآن الكريم.

وإنَّ بعض المنهجيات النقدية ولاسيما الغربية منها تخضع في أصل نشأتها إلى مرجعيات غير إيمانية فهل يعقل أنْ أطبق مصطلح غير إيماني على القرآن الكريم! ولا يكون التناقض في النطبيق بل يمكن أنْ يكون التناقض في المرجعية فقبل تطبيق أي مصطلح على القرآن الكريم وجعله نمط يجب التأكد من مرجعية أصحابه، والتأكد من قابلية تطبيق هذا المصطلح على القرآن الكريم.

وإنَّ دراسة القرآن الكريم بمناهج ومصطلحات ومفاهيم غير عربية أو غربية الأصل مهمة تزيد من دور النقد وتجعله في حالة من الرسوخ؛ لأنَّ الموضوع الحيوي الأول في مجال القراءة والكتابة قديماً وحديثاً هو القرآن الكريم، ولكن المعضلة الكبرى التي قد توجه لهذه الدراسات هو أنَّ المنهجية الغربية أو المصطلح الغربي قد يكون غير دقيق بل مصطلح غير صحيح – أحياناً – لأنَّ أصحاب هذه المصطلحات أو من أبدعوها قد يتراجعون عنها وذلك من باب النزاهة العلمية، والأمثلة كثيرة.

فمهمة الأسلوبية والتلقي الأولى التأكد المنطقي والموضوع من جدارة المنهج أو النظرية أو الجهد الذاتي أو الجهد الاصطلاحي وصلاحية للتطبيق على القرآن الكريم فقد يعطي موضوع الدراسة الأهمية ليس الموضوع أو المنهج أو النظرية المختارة حيث يمكن – غالباً – أنْ تأخذ الدراسة أهميتها من القرآن الكريم، فمدى رسوخ النظرية أو المنهج أو المصطلح أولى مهمات الناقد المتوجه نحو درّس القرآن الكريم.

وأما القضية الثانية التي يجب إبرازها فهي تأكيد خصوصية التعامل مع القرآن الكريم؛ لأنه حظي بالمرتبة الأولى من الدراسة والاهتمام والمتابعة؛ فالقرآن الكريم كلام الله – تبارك وتعالى – يخرج على الدوائر والتصنيفات والأجناس الأدبية التي تنتظم النصوص الإنسانية بكل فروعها وأقسمها، والحكم على فرادة القرآن ليس جديداً، وقد ذكر (الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن) ثلاثة وجوه تبين أنَّ القرآن معجز أولها الإخبار عن الغيوب، وثانيها معرفة حال النبي صلى الله عليه وسلم، وثالثها:" أنه – المقصود القرآن الكريم بيع النظم عجيب التأليف مُتناه في البلاغة إلى الحد الذي يُعلَم عجز الخلق عنه، والذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه وجوه، ونحن نفصل ذلك بعض التقصيل ونكشف الجملة التي أطلقوها، والذي يشتمل عليه بَدِيع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه أهمها: ما يرجع إلى الجملة، وإنَّ نَظمَ القرآن على هذه الأوصاف المطابقة لكتاب الله – عز وجل – بل انتقل إلى التقصيل في التميز بين القرآن الكريم والشعر، ويؤكد (الباقلاني) أنَّ القرآن الكريم:" مباينٌ للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، وذلك أنَّ الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تتقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجَّع ثم إلى مُعَلِّ موزون غير مسجَّع ثم إلى ما يُرْسَلُ إرسالاً قَتُطلَبُ فيه الإصابةُ والإفادة وإفهام المعاني المعترضة على وجه بديع ترتيب لطيف، وإن لم يكن معتدلاً في وزنه، وذلك شبيه بجملة الكلام الذي لا يتعمل فيه ولا يتصنع له "(الباقلاني، 1993، 49).

ويذهب الباقلاني إلى أنَّ القرآن الكريم لا يمت بصلة قربة أو للنصوص الشعرية أو النثرية التي كتبها العرب إذ:" علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه ومباين لهذه الطرق، ويبقى علينا أن نبين أنه ليس من باب مسجع ولا فيه شيء منه، وكذلك ليس من

قبيل الشعر ؛ لأن من الناس من زعم أنه كلام السجع، ومنهم من يدعى فيه شعرًا كثيراً -و الكلام عليهم يذكر بعد هذا الموضع - فهذا إذا تأمله المتأمل تبين - بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم - أنه خارج عن العادة وأنه معجز، وخصوصية ترجع إلى جملة القرآن وتميز حاصل في جميعه (الباقلاني، 1993، 49)...ولا تقتصر خصوصية القرآن في عدم خضوعه للأجناس الأدبية بل تتجاوز ذلك إلى كون هذه الخصوصية في النوع، والقرآن ليس ككلام العرب شكلاً ومضموناً، والقرآن ذو سمت مخصوص وذلك من باب تقديمه سلطة فائقة نعلم بعض ملامحها ويفوتنا بعضها.

وأمًّا القضية الثالثة فتتمثل في نقدية المنهجين الأسلوبي والتلقي؛ لذا يتسم بالنقدية في بعض جوانبها؛ ولكنًا هذه المناهج تفقد السمة الوظيفية عند تعاملها مع كتاب الله (عز وجل) وتتطور الدراسات النقدية العربية ولاسيما في الدراسات النقدية الغربية بشكل عام والتأثر والتأثير من قِبل النقد الغربي جعل مفهوم النقد في حالة من التحول، وأصبحت ظاهرة إطلاق الأحكام حالة من الغياب أو عدم الوجود – في حالة من الفقد فلم يعد دور النقد الحديث والجديد يختص في إطلاق الأحكام.

وربما أصبح أطلاق الأحكام من الماضي النقدي؛ لأنَّ النقد المنهجي المعاصر يكتفي بالتحليل وتبيان مواطن الجمال بسبب تأثر النقد العربي بالنقد الغربي الذي عاجت به نحو تحولات لا نهاية لها، وهذا جعل من النقد الحديث والجديد قادراً على التوجه نحو القرآن الكريم بأدوات منهجية تحولت عن سياسة إطلاق الأحكام.

وأمّا القضية الرابعة فهي نقديم مناهج النقد في الدراسات القرآنية بمظلة البلاغة واللغويات واللسانيات والأسلوب وغيرها من والحقول المجاورة، إذْ لا يخفى على الدارسين والنقاد القدماء والمحدثين أنَّ النقد قد لبست ومازال يتمثل في أثواب البلاغة والنحو والأسلوب والصرف وغير نلك العلوم والحقول ليلج من خلالها إلى القرآن الكريم، وربما كانت حالات نفسير القرآن من أبرز المظاهر التي يختفي تحتها النقد في الدراسات القرآنية، وإنَّ آليات البلاغة قدمت نفسها من خلال القرآن الكريم فقد اكتسبت أهميتها من ارتباطها بالقرآن الكريم وتبيان مواطن اختصاصها من سجع وطباق وجناس وكناية وتشبيه وغيرها من المواطن البلاغية.

وتؤكد القضية الخامسة أنَّ البلاغة والبلاغين كان لهم قصب في دراسة القرآن الكريم؛ لأنَّ المتتبع لمسيرة الدراسات القرآنية سبق البلاغة العربية غيرها من المعارف العربية في دراسة القرآن الكريم من خلال علوم: البيان والبديع والمعاني، ويتجلى هذا من خلال المصنفات والكتب التي [ملأت الدنيا وشغلت الناس]، ولقد خُصِصَ علم التفسير لتقديم المعاني وشرحها ومدلولات القرآن الكريم في حالة مستمر من البحث بسبب محاولات العلماء التبحر في كتاب الله (سبحانه وتعالى).

وتتشكل القضية السادسة في كون كل منهج بشري مهما بلغ من القوة لا يخلو من الإشكاليات، وهذا أمر مألوف وموصوف ومعرف في الدراسات الأدبية والنقدية ولكن مراعاة الخصوصية القرآني تتطلب عدم تطبيق الجوانب النظرية التي تحتمل وجود إشكاليات على القرآن الكريم، وذلك إمكاناً لدراسات كتاب الله – عز وجل – فمتلقي الدراسات القرآنية لا يشترط به أن يكون ناقداً أو متخصصاً في النقد، ومن المحتمل أن يكون بعض متلقي الدراسات النقدية ولا سيما القرآنية منها لا يحملون الثقافة النقدية فيلبس عليه الأمر شأن الأسلوبية والتلقي، ويشكل فيجب مراعاة توجيه الخطاب النقدي في الدراسات القرآنية نحو كل المتلقين، ويجب على الناقد أن يخرج من أزمة نخبوية الثقافية النقدية إلى عموميتها ليكون درسه النقدي القرآني مقبولاً لكل الفئات، ويجب عكس إشكاليات الحقول والمعارف النقدية على القرآن الكريم، ومن الأمثلة التي تقدم على هذه الإشكاليات: فالعلاقة المشكلة الظاهرة بين البلاغة والأسلوبية يجب أن لا يتم التصدي لها في الدراسات الأسلوبية أو البلاغية التي تتعلق بالقرآن الكريم؛ لأنً هذه القضايا تهم أهل الاختصاص لا يُعنى بها الذي يهتم بالدرس القرآني فتكون لديه أزمة وموطن للعديد من التساؤلات التي لا إجابة لها بينما هي إشكالية بسيطة ومعتادة عن أهل الاختصاص، ودراسات القرآن الكريم تهم الجميع من مختلف المراحل الوتوجهات فكما للقرآن خصوصية فإن لدراسات القرآن الكريم خصوصية فليست دراسات القرآن موطن لتصفية الحسابات أو المحاولة حل الإشكاليات والاجتهاد فيها.

والقضية السابعة التي يجب أنْ يتوجه النقاد إلى تتميط ونمذجة الدراسات القرآنية ذات الأصول المنهجية الأدبية والنقدية من خلال تقديم المحاولات الأسلوبية والتلقى المتعلقة بالقرآن الكريم من الحيز الأدبي.

والمطلوب أخذ ما ينفع القرآن الكريم من أدوات تقدم الأساليب بصورة جديدة تتماشى والميل نحو الحداثة التي نلحظها بين الأدباء والنقاد وإعادة توليف النقد نحو القرآن بدلاً من اتجاهه نحو الحضارات الغربية المشكلة مهمة يصعب إنكارها أو التقليل من فاعليتها في النقد الأدبى العربى المعاصر.

والعلاقة بين دراسات الأسلوبية والمتلقى والدرس القرآني تتمثل في أنَّ بعض النقاد والباحثين وجود إمكانية تطبيق منهجيات

الأسلوبية والتلقي غير المتعارضة مع خصوصية القرآن لتقديم وإضافة تحليل للقرآن الكريم بمرايا نقدية وأدبية تتوافق مع المرجعيات الغربية والعربية والعربية مع العلم بأنً:" القرآن يمثل تطوراً غير عادي أصاب لغة الكتابة العربية، وإنّه يتمتّع بقابليّة غير متناهية لقراءات نقدية متجدّدة" (زيتون، 1992، 417) بمنهجيات متنوعة؛ لأنّ القرآن كان وسيبقى مصدراً منهجياً للنقد الأدبي و "يمكننا أنْ نقول بأنً القرآن الكريم كان صاحب فضل لا ينكر في تربية الملكة النقدية عند العرب وتعهدها منذ نشأتها وتطورها في دراسات القرآن والنقد والبلاغة" (يونس، 2006، 79) فالعلاقة بين دراسة الأساليب وتلقيها والقرآن وأثبتت وجودها وجدواها في نقدم النقدي الأدبي ووضعه في تجليات معهودة وأحسب أنَّ هذه العلاقة قدمت فوائد ذات قيمة للعرب فلم يقتصر الدور على النقد بل تعدى ذلك إلى الملكة النقدية المضاف لها أبعاد جديدة في التقدم في القرآني في استخدام اللغة، وأمًّا إطار التأصيل لهذه العلاقة فيمكن الإشارة إلى الجهود النقدية والبلاغية العربية التي أسهمت في دراسات إعجاز القرآن، وتقديمه للمتعلمين والدور المهم الذي جعل التطبيقات البلاغية والنقدية تتصدر بالقرآن المجالات اللغوية والنصية والفائدة مجزلة للنقد فإذا كانت الدراسة عن أي نص مهما كان علو شأنه لا تتوازى في الاهتمام مع دراسة القرآن فمتلقي القرآن كثر وواعون إلى أهمية وخصوصية وتميز كتاب الله عن غيره.

ويشير كتاب (أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري) إلى أنَّ القرآن الكريم قدم للنقد الأدبي المنهج، إذْ يمثل تقديم المنهج وجود علاقة قديمة يمكن التنبؤ ببدايتها في القرن الرابع الهجري حيث: "كان طبيعياً أنْ نتعرض للدراسات القرآنية والنقدية، وأثرها في الشعر واللغة لتبين آثار القرآن، والمنهج فيها، ومدى مسايرة هذا لتلك، فكان من رأينا، وعرفنا من أنْ الدراسات النقدية خضعت للمنهج القرآني، وأنَّ أسلوب القرآن دعا إلى الحفاظ على طريقة العرب في النقد... وبقي علينا هنا أنْ نشير إلى أثر القرآن في إثارة بعض المسائل الفنية والجمالية في الأسلوب وهو الأصل الذي قامت عليه دراسات السابقين (سلام، 1961، 360).

وإنَّ الأسلوب القرآني كان وما يزال ذو أثر في كل مجالات المعرفة عند العرب والمسلمين ولاسيما الأسلوبية والتلقي الغربيين؛ لأنه منهج قويم ولا ضير في استفادة الأدباء والنقاد من المنهج القرآني فالنقد الأدبي المعاصر يفيد من النقدي الغربي مع التأكيد على التطور الذي قدمته الدراسات القرآنية للنقد الأدبي، ولا شك في تطور الأسلوبية والتلقي من خلال تطبيقهما على المنهج القرآني الذي تأثر بما قدمه علماء الدراسات القرآنية من جهود متطورة في دراسة القرآن، ولاسيما وأنَّ القرآن مادته اللغة وهي مادة الأسلوب والتلقي ودراساته.

وبهذه القضايا السبعة نكون وضع النقاط تمثل أسس لارتباط الدراسات النقدية بالدراسات القرآنية مع الإفادة من الخبرة المتشكلة من أنماط التعامل السابقة مع القرآن الكريم.

الخاتمة

توصف العلاقة بين الأسلوبية والتلقي والدراسات القرآنية بأنها علاقة تفاعلية متصاعدة؛ لأنَّ الأسلوبية والتلقي تخدمان القرآن الكريم بمنهجيتهما وأدواتهما وإمكانيتهما.

ولقد عرض هذا البحث للنمط الأول من الدراسات الأسلوبية التي تتقارب مع النقد الأدبي، وقدم نموذجين من كتابين أولهما: سورة الصافات: دراسة أسلوبية، وثانيهما أسلوبية الانزياح في النص القرآني، وأما النمط الثاني فهو التلقي وهي منهجية نقدية خالصة تم تطبيقها في القرآن الكريم في دراسات متعددة تم اختيار نموذجين أولهما كتاب(جمالية التلقي في القرآن الكريم بطرائق خاصة (أدبية الإيقاع الإعجازي نموذجاً)، وثانيهما كتاب ملامح السرد القرآني (دراسة في أنماط القص والتلقي والشخصيات والبيئة القصمية).

وتمثل هذه الأنماط ظاهرة في الدراسات النقدية العربية التي لا بد من ووصفها ودراستها من أجل البحث عن الثوابت والطبيعة الخاصة لكل نمط من الأنماط الدراسات النقدية في كتاب الله – عز وجل – فالنقد المعاصر بأمس الحاجة إلى التعرف إلى الأنماط الموصوفة بأنها أبواب يمكن من خلالها دراسة القرآن الكريم بطريقة نقدية لسببين أولهما محاولة التطبيق والمدارسة في هذه الأنماط وثانيهما محاولة إضافة أنماط جديدة من الدراسات النقدية في الدراسات القرآنية.

وقد لوحظ في هذا البحث انقلاب المعادلة الأولى في العلاقة بين الدراسات القرآنية والدراسات النقدية والأدبية فقد شكل دراسات القرآن الكريم للنقد الأدبي والبلاغة منهجاً فقد قدمت الدراسات القرآنية منهجاً في النقد وربما كان يُعدُ المنهج المفترض في الدراسات النقدية منهجاً قرآنية، وأمًا في واقعنا المعاصر فالمنهج الذي يثبت جدارته في الدراسات النقدية والأدبية يتحفز أصحابه إلى تطبيقه في الدراسات القرآنية.

المصادر والمراجع

إبراهيم، عبدالله (2000) التلقي والسياقات الثقافية (بحث في تأويل الظاهرة الأدبية) دار الكتاب الجديدة المتحدة: لبنان، ط(1). إسماعيل، سامي (2002) جماليات التلقي (دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت ياوس وفولفجانج إيزر) المجلس الأعلى للثقافة: القاهرة، ط(1).

الباقلاني، محمد (1993) إعجاز القرآن للباقلاني، إعداد: ممدوح حسن محمد، دار الأمين: القاهرة، ط(1).

حطيني، يوسف (2009) ملامح السرد القرآني (دراسة في أنماط القص والتلقي والشخصيات والبيئة القصصية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب: دمشق.

الخرشة، غالب، أحمد (2014) أسلوبية الانزياح في النص القرآني، الأكاديميون للنشر والتوزيع: الأردن، ط(1).

الرويلي، ميجان والبازعي، سعد (2002) دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً)، المركز الثقافي العربي: المغرب، ط(3).

زيتون، مهدي، على (1992) إعجاز القرن الكريم وأثره في تطور النقد الأدبي، دار المشرق: بيروت، ط(1).

السالم، موسى، مصطفى، عدالة (2007) سورة الصافات: دراسة أسلوبية، أطروحة لاستكمال درجة الماجستير: كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية: عمان.

سلام، زغلول، محمد (1961) أثر القرآن الكريم في تطوّر النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، دار المعارف: مصر، ط(2). الشاويش، محمود، إيمان (2011) جماليات المكان في القصة القرآنية، رسالة ماجستير: كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية: عمان. الشهرزوري، لطيف، يادكار (2010) جماليات التلقي في السرد القرني، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع: سوريا، ط(1).

الصويان، بن عبدالرحمن، أحمد (1999) منهج التلقي والاستدلال بين أهل السنة والمبتدعة، دار السليم للنشر والتوزيع: الرياض، ط(2).

عودة، محمد، خليل، ميس (2010) تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي والبلاغي (كتاب مفتاح العلوم للسكاكي نموذجاً)، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع: الأردن، ط(1).

فوكو، ميشيل (1997) يجب الدفاع عن المجتمع (دروس ألقيت في الكوليج دي فرانس)، ترجمة: د. الزواوي بغورة، دار الطليعة للطباعة والنشر: بيروت.

الماضي، شكري (2011) مقاييس الأدب (مقالات في النقد الحديث والمعاصر)، دار العالم العربي للنشر والتوزيع: الإمارات العربية المتحدة، ط(1).

الماضي، عزيز، شكري (2003) أفق النقد الأدبي العربي في بناء استراتيجية للتلقي، أعمال المؤتمر الدولي الثاني للنقد الأدبي: القاهرة / نوفمبر: 2000م.

الماضي، شكري (2011) مقابيس الأدب (مقالات في النقد الحديث والمعاصر) دار العالم العربي للنشر والتوزيع: الإمارات العربية المتحدة، ط(1).

مزاري، شارف (2009) جمالية التلقي في القرآن الكريم(أدبية الإيقاع الإعجازي نموذجاً) منشورات اتحاد الكتاب العرب: دمشق، ط(1). يونس، سعد، عيد (2006) التصوير الجمالي في القرآن الكريم، عالم الكتب: القاهرة، ط(1).

Stylistics and Receptiveness in Qur'anic Studies Through two Applied Models

Omar Abdullah Al-Anbar *

ABSTRACT

This paper aims to shed light upon the concepts of stylistics and receptiveness on two distinct methodologies of Qur'anic studies through introducing two applied models. This approach attempts to establish systematic procedures concerning the methodical treatment with the Holy Quran in order to maintain its specificity and unique quality. This study consists of an introduction, three chapters, and a conclusion, as follow:

Chapter One: stylistics in Qur'anic studies through two applied models.

Chapter Two: Receptiveness in Qur'anic studies through two applied models

Chapter Three: Issues in the relations of stylistics and receptiveness with the Holy Quran.

Keywords: Stylistics, Receptiveness, Holy Quran, methodical, two Applied Mode.

Received on 20/2/2019 and Accepted for Publication on 21/11/2019.

^{*} Faculty of Arts/ Isra University.